# الحسين

## مدرسة العطاء والأخلاق

حسن موسى الصفار

# الحسين

## مدرسة العطاء والأخلاق

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

القطيف - المملكة العربية السعودية

# مقدمة

إحياء ذكرى سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام، واستشعار الحزن والأسى لمأساة عاشوراء الدامية، إنما يقصد منه تعزيز الولاء والانتماء لنهج الإمام الحسين عليه السلام، نهج الالتزام بالدين، والدفاع عن مصالح الأمة، ورفض الظلم والفساد والانحراف.

فحب الحسين والتفاعل الوجداني العاطفي مع المصائب التي حلّت به وبأصحابه وعياله في كربلاء، يخلق الانشداد النفسي والانجذاب الروحي نحو شخصيته العظيمة، ويجب أن ينبثق منه الاندفاع نحو الاقتداء بالإمام الحسين عليه السلام والتأسي بسيرته ومكارم أخلاقه.

إن ثورة أبي عبدالله الحسين عليه السلام وتضحيته الخالدة يوم عاشوراء، لم تكن قفزة في حياته الشريفة، ولا موقفاً منفصلاً

عـن مجمل اهتماماته وتوجهاته، بل جاءت ثورته تتويجاً لمسـيرته الرسالية الرائدة، وتجسيداً للقيم والمبادئ التي آمن بها ونذر حياته من أجلها.

وعلينـا كما نهتـم بتفاصيل مقتل الإمام الحسـين عليه السلام، ونتفاعل مـع جزئيات فاجعة يوم عاشـوراء، أن نهتم بالتعـرف على تفاصيل سيرة الإمام، ونتفاعل مع سمات شخصيته ومكارم أخلاقه.

إن حيـاة الإمـام الحسـين كلهـا عطـاء وتضحية في سـبيل الله ولخدمـة عباد اللـه، فقد كان أحد أفراد الأسـرة النبوية التي وصف اللـه عطاءها للنـاس بقوله تعالـى: ﴿وَيُطْعِمُـونَ الطَّعَامَ عَلَـى حُبِّهِ مِسْـكِيناً وَيَتِيمـاً وَأَسِـيراً * إِنَّمَـا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْـهِ اللَّهِ لا نُرِيـدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾[سـورة الإنسان الآيتان:٨-٩]، وكان الإمام الحسين في سـنوات عمره الأولى حين شـارك عائلته موقف ايثـار المحتاجين بالطعام وطووا ثلاثة أيام صياماً.

وقبـل أن يثـور الإمام الحسـين على طاغية زمانـه كان ثائراً في سلوكه وممارساته على نوازع الأنانية ومساوئ الأخلاق.

فكانت حياته مدرسة في العطاء والأخلاق.

وهـذه الصفحـات المتواضعـة تحريـر لمحاضرتيـن القيتهما في موسـم عاشوراء سـنة ١٤٢٨هـ تتناولان شـيئاً من عطاء الإمام الحسين ومكارم أخلاقه، أقدمها لعشاق الإمام الحسين والمتفانين

فـي إحياء ذكرى شـهادته الخالـدة، لتكون دافعاً للتأسـي والاقتداء بسـيرة هـذا الإمـام العظيم، حشـرنا اللـه جميعاً في زمـرة أصحابه وأنصاره، وجمعنا وإياه في جنات النعيم.

**حسن موسى الصفار**

**٢٠ ذو القعدة ١٤٣٣هـ**

# الإمام الحسين مدرسة العطاء

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[سورة سبأ، الآية: ٣٩].

**من هدي الإمام الحسين عليه السلام**

حينما نجتمع لنستعيد ذكرى أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام لا يكفي أن نتفجع لمصيبته، أو نعجب ببطولته وصموده، إنما بالدرجة الأولى علينا أن نسعى للاقتداء به، والأخذ بهديه، وهذا يلزمنا أن نتعرف جوانب سيرته المشرقة، وأن نأخذ ونقتبس منها ما ينفعنا في دنيانا وآخرتنا.

ومن الجوانب المهمّة في حياة الإمام الحسين عليه السلام وشخصيته، أنه مدرسة في العطاء، فحياته كانت مكرسة للعطاء، وأبرز مثال على ذلك شهادته عليه السلام، إذ كانت القمة والذروة في مسيرة عطائه عليه السلام،

فقد جاد بنفسه، «والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ».

سخاء الإمام عليه السلام ينطلق من مفهومه ورؤيته، فإننا لو اطلعنا على كلمات الإمام الحسين عليه السلام لرأيناه يضع منظومة متكاملة حول فلسفة المال والتعامل مع الثروة والإمكانات المتاحة في الحياة، يقول عليه السلام في كلمة له: «مالك إن لم يكن لك كنت له، فلا تُبْقِ عليه، فإنه لا يبقي عليك، وكُلْهُ قبل أن يأكلك»[١].

ويقصد الإمام بذلك أن مالك هو لك ما كنت له منفقًا، وأما المتبقي فهو ذخيرة لغيرك، وتكون أنت المحاسب عليه، والمطالب به، وأنت لا تبقى لمالك، فَكُلْهُ قبل أن يأكلك.

١. الإمام يَعُدُّ المال الحقيقي هو الذي ينفقه الإنسان ويتصرف فيه في الحياة، وما زاد عليه يسميه الإنسان مَالَهُ، وهو في الحقيقة ليس له؛ لأن هذا المال سيبقى وسيأخذه آخرون، بينما الإنسان سيحاسب عليه يوم القيامة. كما ورد في حديث قدسي عن اللّه تعالى: «يقول ابن آدم: ملكي وملكي، ومالي مالي، يا مسكين أين كنت حيث كان الملك ولم تكن، وهل لك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت»[٢].

٢. من ناحية ثانية فإن الإمام عليه السلام يعدّ وجود حاجات متبادلة بين

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار. ج٦٨، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي)، ص٣٥٧، حديث٢١.
(٢) المصدر نفسه. ص٣٥٦، حديث١٧.

الناس، بحيث كل مستطيع منهم يقدّم الخدمة لأخيه الإنسان، يعدّ هذه نعمة من اللّه تعالى على ذلك المستطيع، وتوفيقًا إلهيًّا وفق إليه في خدمته للآخرين، قال عليه السلام: «اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعمِ اللّه عليكم، فلا تملوا النّعم فتحور نقمًا»[١] ـ تحور بمعنى: ترجع ـ.

حينما تكون في موقع من الثروة والجاه ويأتيك الآخرون ويطلبون منك، فيجب أن تعلم أن هذه نعمةٌ من اللّه سبحانه عليك.

٣. في مورد ثالث يتحدث الإمام الحسين عليه السلام عن العطاء والسخاء بأنه هو الذي يجعل للإنسان موقعًا متقدمًا في الحياة والمجتمع قال عليه السلام: «أيها الناس من جادَ، سادَ»[٢]، بمعنى: من يجود بماله ـ أي يعطي ـ يستحق السيادة والتقدم والاحترام في المجتمع، نتيجة طبيعية لعطائه وجوده.

٤. الإمام الحسين عليه السلام حينما سمع رجلًا يقول: «إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع»، بمعنى: إذا صنع الإنسان معروفًا في غير أهله يضيع هذا المعروف، وكأنما ذلك الإنسان ضيع جهده وماله في غير محلّه، وكأنه ضيع ماله وفقده.

أجابه الإمام عليه السلام: «ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعة

(١) بحار الأنوار. ج٧٥، ص١٢١، حديث٤.
(٢) المصدر نفسه.

مثل وابل المطر تصيب البرّ والفاجر»[١].

الإنسان ينبغي أن يصنع المعروف الشامل لكل الناس، كما جاء في الحديث الشريف عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «اصطنع الخير إلى من هو أهله، فإن لم تصب أهله فأنت أهله»[٢].

وعنه ﷺ: «اصطنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله، فإن لم يكن أهله فأنت أهله»[٣].

٥. ويقول عليه السلام في كلمة أخرى: «إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ: أيها الناس، من كان له على اللّه أجر فليقم، فلا يقوم إلا أهل المعروف»[٤].

وهو القائل كما يروى[٥] عنه عليه السلام:

**إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طرًّا قبل أن تتفلت**

**فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ولا البخل يبقيها إذا ما تولت**

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٥، ص١١٧، حديث٣.

(٢) ميرزا حسين النوري الطبرسي. مستدرك الوسائل، ج١٢، الطبعة الثالثة ١٩٩١م، (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث)، ص٣٤٨، حديث١٤٢٥٤.

(٣) المصدر نفسه. حديث١٤٢٥٥.

(٤) باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج١، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: دار البلاغة)، ص١٨٣.

(٥) بحار الأنوار. ج ٤٤، ص ١٩١، حديث٣.

هـذه نمـاذج من كلمـات الإمام الحسـين عليه السلام وفلسـفته للعطاء والإنفاق.

**نماذج من عطاء الإمام الحسين عليه السلام في سيرته**

يتحدث المؤرخون عن كرم الإمام عليه السلام وجوده، وينقلون في ذلك وقائع وحوادث عدّة، نشير إلى بعض منها:

٦. مرَّ الحسين بن علي عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم وألقوا عليه كِسَرًا، فقالوا: «هلم يا ابن رسول اللّه»، فثنى وركه فأكل معهم، ثم تلا الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[سورة النحل، الآية: ٢٣]، ثم قال: «قد أجبتكم فأجيبوني»، قالوا: «نعم، يا ابن رسول اللّه»، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للجارية: «أخرجي ما كنت تدخرين»[١]، وفي هذه الحادثة هناك روايتان: رواية تقول: «فأكل معهم»، وأخرى تقول: «لولا أنه صدقة لأكلت معكم»، ثم قال: «قوموا إلى منزلي»، فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم»[٢].

ولعلهمـا حادثتـان لجماعتيـن، الجماعة الأولـى كانوا فقـراء يأكلون من مالهم، لكنهم كانوا ضعفـاء وفقراء، بينما الجماعـة الأخرى كانوا من المسـاكين وعندهـم من أموال الصدقة يأكلون منها.

(١) بحار الأنوار. ج٤٤، ص١٨٩، حديث١.
(٢) المصدر نفسه. ج ٤٤، ص ١٩١، حديث٣.

٧. وفد أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدلَّ على الحسين عليه السلام، فدخل المسجد فوجده مصليًّا، فوقف بإزائه وأنشأ:

**لم يخب الآ من رجاك ومن ... حرَّك من دون بابك الحلقه**

**أنت جواد وأنت معتمد ... أبوك قد كان قاتل الفسقه**

**لولا الذي كان من أوائلكم ... كانت علينا الجحيم منطبقه**

قال: فسلم الحسين وقال: «يا قنبر، هل بقي من مال الحجاز شيء؟» قال: «نعم، أربعة آلاف دينار»، فقال: «هاتها، قد جاء من هو أحق بها منا»، ثم نزع برديه ولفَّ الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ:

**خذها فإني إليك معتذر ... واعلم بأني عليك ذو شفقه**

**لو كان في سيرنا الغداة عصا ... أمست سمانا عليك مندفقه**

**لكن ريب الزمان ذو غير ... والكف مني قليلة النفقه**

قال: فأخذها الأعرابي، وبكى، فقال له: «لعلك استقللت ما أعطيناك»، قال: «لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك»[1].

٨. دخل الحسين عليه السلام على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: «واغماه!»، فقال له الحسين عليه السلام: «وما أغمَّك يا أخي؟» قال: «دَيْني، وهو ستون ألف درهم»، فقال الحسين عليه السلام: «هو عليَّ»،

(١) بحار الأنوار. ج٤٤، ص١٩٠.

قال: «إني أخشى أن أموت»، فقال الحسين: «لن تموت حتى أقضيها عنك»، قال: فقضاها قبل موته[١].

٩. وروى أحمد بن سليمان بن علي البحراني في (عقد اللآل في مناقب الآل) أن الحسين عليه السلام كان جالسًا في مسجد جده رسول اللّه صلى الله عليه وآله بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، وكان عبد اللّه بن الزبير جالسًا في ناحية المسجد، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها في باب المسجد ودخل، فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه، فرد عليه السلام، فقال له الأعرابي: «إني قتلت ابن عم لي وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئًا؟» فرفع رأسه إلى غلامه، وقال: «ادفع إليه مئة درهم»، فقال الأعرابي: «ما أريد إلا الدية تمامًا ثم تركه»، وأتى عبد اللّه بن الزبير وقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبد اللّه لغلامه: «ادفع إليه مئتي درهم»، فقال الأعرابي: «ما أريد إلا الدية تمامًا»، ثم تركه، وأتى الحسين عليه السلام فسلم عليه، وقال: «يا ابن رسول اللّه، إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئًا؟»، فقال له: «يا أعرابي، نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة»، فقال: «سل ما تريد»، فقال له الحسين: «يا أعرابي، ما النجاة من الهلكة؟» قال: «التوكل على اللّه عز وجل»، فقال: «وما الهمة؟» قال:

(١) بحار الأنوار. ج٤٤، ص١٨٩.

«الثقة باللّه»، ثم سأله الحسين غير ذلك، وأجاب الأعرابي، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم، وقال له: «هذه لقضاء ديونك»، وعشرة آلاف درهم أخرى، وقال: «هذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك»، فأنشأ الأعرابي يقول:

**طربت وما هاج لي معبق ... ولا لي مقام ولا معشق**
**ولكن طربت لآل الرسو ... ل فلذَّ لي الشعر والمنطق**
**هم الأكرمون هم الأنجبون ... نجوم السماء بهم تشرق**
**سبقت الأنام إلى المكرمات ... فقصر عن سبقك السبق**
**بكم فتح اللّه باب الرشاد ... وباب الفساد بكم مغلق**[1]

هذا غيض من فيض، وإلا فالشواهد التي تدل على جوده وسخائه كثيرة.

إن الإمام الحسين عليه السلام كان في كلامه وسيرته مدرسة للعطاء والسخاء.

### السعي للثروة والقدرة

بعض الناس حين يسمعون قصصًا وأخبارًا عن الأسخياء،

---

(١) السيد محسن الأمين. أعيان الشيعة، ج١، طبعة ١٤٠٦هـ، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات)، ص٥٨٠.

والمنفقين، يتشجعون للعطاء، حيث يتمنى لو أن عنده ثروة لينفق منها، وفي الواقع على الإنسان أن يسعى لكي تكون له ثروة وقدرة، ولا ينبغي له أن يقبل لنفسه مستوًى محدودًا من الجاه أو من المال، بل عليه أن لا يكون لطموح وتطلعه حدود.

في كثير من المجتمعات أغلب الناس لديهم تطلع لتحسين وضعهم الاقتصادي، ويفكرون كيف يصبحون أثرياء؟ وكيف يمتلكون الثروة؟ أما في مجتمعنا ـ وللأسف ـ فإن أغلب الناس شعارهم «أقل ما فيها يكفيها»، فالمهم لدى الفرد منا أن يحصل على لقمة العيش، وعلى الوظيفة التي يُسَيِّر بها شؤون حياته العامّة.

الآية الكريمة التي افتتحنا بها الحديث قبل أن تتحدث عن الإنفاق تتحدث عن بسط الرزق والتقدير في الرزق، يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾[سورة سبأ، الآية: ٣٩].

اللّه سبحانه يبسط الرزق لبعض من الناس، ويقدر على البعض الآخر، وفي الوقت نفسه لا يوزّع اللّه الأرزاق بين الناس عبثًا، وإنما ضِمن سنن ووسائل وحكمة إلهية، ولذلك ورد عن علي بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبد اللّه عليه السلام: «ما فعل عمر بن مسلم؟» قلت: «جعلت فداك، أقبل على العبادة وترك التجارة»، فقال عليه السلام: «ويحه، أما علم أن تارك الطلب لا يستجاب له؟ إن قومًا من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله لما نزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ

مَخْرَجًا * ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[سورة الطلاق، الآيتان: ٢ـ٣] أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: «قد كفينا»، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأرسل إليهم، فقال: «ما حملكم على ما صنعتم؟» قالوا: «يا رسول اللّه، تكفل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة»، فقال: «إنه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب»[١].

ومثله قوله ﷺ: «إني لأبغض الرجل فاغرًا فاه إلى ربه يقول: «اللهم ارزقني»، ويترك الطلب»[٢].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن رجلًا سأله أن يدعو اللّه له أن يرزقه في دعةٍ، فقال عليه السلام: لا أدعو لك، اطلب كما أُمِرْتَ، وقال: «ينبغي للمسلم أن يلتمس الرزق حتى يصيبه حرّ الشمس»[٣].

هذا الرجل يريد من الإمام أن يدعو له على أساس أن دعاء الإمام عليه السلام مستجاب، إنه يريد أن يأتيه الرزق وهو جالس في بيته من غير عناء، ولم يقبل الإمام ذلك، يقول تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[سورة الملك، الآية: ١٥].

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي، ج ٥، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٨٤.

(٢) مستدرك الوسائل. ج١٣، ص١٥، حديث١٤٥٩٧.

(٣) القاضي أبو حنيفة المغربي النعمان. دعائم الإسلام، ج٢، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص٥.

فأساس فلسفة وجود الإنسان في هذه الحياة لكي يعمر الكون، كما جاء في قول اللّه تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[سورة هود، الآية: ٦١].

النَّاس في بعض المجتمعات يتحفزون للعمل والسعي والإنتاج، بينما تجد الهمة للسعي في بعض المجتمعات قليلة، والأثرياء يُعدُّون فيها على الأصابع، ومنها مجتمعنا، فإذا أراد الإنسان أن يحصي الأثرياء في المجتمع لا يجد عددًا كبيرًا، بينما في مجتمعات أخرى تجد أعدادًا كبيرة من الأثرياء.

ومن ذلك ما نشره تقرير عن الحالة المادية بسويسرا، حيث يفيد التقرير أنه من بين كل ٢٥ سويسري يوجد بينهم مليونير واحد[١].

ومجتمعات أخرى غير المجتمع السويسري إذا وُضِعَت قائمة لعدد الأثرياء المتمكنين فيها، تجد أمامك قائمة كبيرة.

بينما في بعض المجتمعات ـ ومجتمعنا واحد منها ـ عندما يحصى عدد الأثرياء في المدينة الواحدة قلَّما تخرج بعدد يصل إلى عدد الأصابع في اليد الواحدة.

### أسباب عدم السعي للثروة والقدرة

هذه المسألة ليست عفوية بل تدل على حالة معينة.

---

(١) جريدة الوطن. بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٤٢٥هـ.

يوجد هناك عاملان أساسيان، هما:

**١. التربية**

المجتمعات التي تربي أبناءها على الاتكالية والاعتماد على الغير، بحيث يتربى الولد من صغره إلى أن يصبح شابًّا على أن أباه وأهله ينفقون عليه، ويوفرون له كل شيء، من دون عناء، هذا الإنسان يستمر على هذه الحالة، بحيث يريد أن تتوفر له احتياجاته دون عناء وتعب طوال حياته.

وفي هذه النقطة يُنْقَل أن العرب في الجاهلية كانوا يربون أبناءهم على الخشونة، ولذلك يدفعون بالطفل الصغير حتى يتربى في البادية، وهي عادة حسنة، ذلك أن التدليل وتوفير كل شيء للأبناء في كثير من الأحيان ليس لصالح بناء شخصيتهم.

ولذلك لا أظن أنه من الصالح أن يشعر الأب بفخر واعتزاز بأنه اشترى لولده سيارة من أفضل الموديلات وأرقى الماركات، وربما دلَّله بطرق وأساليب أخرى.

وربما تكون هذه الممارسات الطائشة بالسيارات والدرّاجات النارية ناتجة عن مثل هذا النوع من التدليل، حيث لا يكون الابن هو من وفّر لنفسه هذا النوع من المركبات.

وأتمنى أن توجّه كثير من هذه المصروفات فيما هو في خدمة أبنائنا فعلًا، فبدل أن يشتري الأب المتمكّن لابنه سيارة غالية الثمن،

بإمكانه أن يصرف هذا المبلغ في أن يرسله للدراسة بالخارج، ليأتي بشهادة عالية ودراسة جادّة.

إننا نرى بقية المجتمعات التي تعيش مستوى اقتصادي أقل مما نعيشه، ينفقون كل ما يجمعونه في حياتهم من أجل أن يدرس أبناؤهم بالخارج.

إننا لا نتوقّع بفعل هذا النوع من التربية على الدعة والتواكل أن يكون الأبناء منتجين كادحين.

**٢. الثقافة السائدة في المجتمع**

بعض المجتمعات تسودهم ثقافة تدفع للعمل وللثراء، وبعض المجتمعات على العكس من ذلك، تسودها ثقافة الاتكال والرضا بالحال.

**قصة عالم الاجتماع الألماني**

وفي هذا المجال ينقل عن عالم الاجتماع الألماني المعروف ماكس فيبر (١٨٦٤- ١٩٢٠م) ـ وهو من كبار علماء الاجتماع، ومن مؤسسي علم الاجتماع الحديث، إذ كان أمين مكتبة، ثم توجه إلى علم الاجتماع، وأصبح من عباقرته في هذا العصر.

ينقل عنه أنه كان قد لفت نظره وضع منطقتين متجاورتين في ألمانيا متساويتين في ظروفهما الطبيعية، لكن الوضع الاجتماعي

والاقتصادي في إحدى المنطقتين يختلف عن الأخرى، إحدى المنطقتين بها تقدم اقتصادي، والناس فيها أثرياء، لديهم مصانع وتجارة رائجة، بينما الأخرى غالبية أهلها فقراء، ويعيشون في حالة ريفية، ليس لديهم تلك الثروات والإمكانات الكبيرة.

فالتفت العالم فيبر لهذا التفاوت، وحاول أن يبحث عن أسباب التفاوت، ووضع لذلك احتمالات عدة، منها:

- هل هذه المنطقة فيها ثروات والأخرى لا يوجد بها مثل تلك الثروات؟
- هل الوضع في المنطقة من حيث الطقس يختلف عن الأخرى؟

وضع كل الاحتمالات فلم يجد سببًا، إلى أن التفت إلى أن السبب في ذلك هو الفارق في الثقافة، إذ كانت المدينة المتقدّمة صناعيًّا تنتمي إلى المذهب البروتستانتي، وكانوا ضمن المدرسة الكالفنية، وهي تعدّ مدرسة متطورة في هذا المجال، إذ كان يتربى الناس فيها على أن مكانة الناس في الآخرة هي بحجم مكانتهم في الدنيا.

بينما المنطقة الأخرى كانت ملتزمة بالمذهب الكاثوليكي في المسيحية، وهذا المذهب التقليدي يُزهّد أتباعه في الحياة، ولا يعطي أهمية للحياة، ولا يبعث الهمّة على النشاط

والعمل الاقتصادي.

(جون كالفن) ـ صاحب المدرسة الكالفنية المسيحية ـ ربَّى الناس في مجتمعه على أنه ينبغي لهم أن يكونوا متقدمين في الدنيا، لكي يكونوا متقدمين في الآخرة، فكان يربط في أذهانهم بين التقدم في الدنيا والتقدم في الآخرة.

كما أن لديه مفهومًا لا نتفق معه فيه .. فهو يقول: إن اللّه يحب النُّخب، ولا يحب الفقراء المساكين، ويقصد بالنُّخب ـ هنا ـ أصحاب الثروات، وأصحاب المكانة الاجتماعية والعلمية، فيقول بأن هؤلاء هم جماعة اللّه وليس الناس الفقراء التعساء.

ولذلك العالم الألماني (ماكس فيبر) اكتشفَ أن الفارق بين المنطقتين هو هذا الفارق الثقافي، منطقة ثقافة أبنائهم تدفعهم إلى النشاط والفاعلية، والمنطقة الأخرى ثقافة أبنائها لا تدفعهم إلى ذلك. ولهذا تقدمت هذه وتأخرت تلك.

### أثر الثقافة الاجتماعية في تقدُم الأمم

وفي هذه النقطة أتذكّر أنني في أولى سفراتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٨٠م، أثناء وجود طُلاب في مؤتمر إسلامي التقيت طالبين وصلا للتوّ إلى هُناك، أحدهما من لبنان، والآخر من إحدى المناطق الخليجية، وكان الفارق بينهما أن الطالب الخليجي أتى ولديه بِعثة رسمية من الدولة، ومالٌ من أهله،

وكان في حالة جيدة، بينما الطالب اللبناني استطاع بصعوبة أن يحصل على مالٍ للتذكرة ليتسنى له الدراسة في أمريكا.

وبعد خمس سنوات اتفق أن التقيت هذين الطالبين مرة أخرى، ولكن مع فارق كبير، فالطالب الخليجي لم يتمكن من إتمام دراسته، لينقطع عنه تمويل البعثة، لدرجة أنه أتى إلى المؤتمر باحثًا عمن يقدم له المساعدة المالية، ليتمكّن من مواصلة المعيشة في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما الطالب اللبناني إلى جانب دراسته التي أتمّها حصل على بطاقة ألـ «غرين كارد» (البطاقة الخضراء)، وحصل على الجنسية الأمريكية، وعَمِل بالتجارة، وأصبح لديه إمكانات جيدة وثروة ومكانة اجتماعية.

هذان الطالبان جاءا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في وقتٍ واحد، ولكن مع اختلاف في النظرة إلى الحياة وفي الثقافة وفي أسلوب التربية، وكذلك طبيعة المجتمع الذي أتى منه كل منهما.

ففي لبنان نُلاحظ: أن طبيعة المجتمع فيها دفع وتحفيز وتطلع، ولذلك أبناء المجتمع اللبناني أينما ذهبوا ـ مغتربين وهاربين عن بلدهم بسبب الفقر أو الحرب ـ يصبحون في مختلف المناطق أثرياء، وبعضهم وصل إلى مواقع سياسية في تلك البلاد.

والسبب في ذلك هو وجود ثقافة اجتماعية دافعة في هذا الاتجاه لدى المجتمع.

ولـذا أرى أن مجتمعنـا بحاجة إلى ثقافة تدفـع أبناءه إلى الثراء وإلـى التقـدم الاقتصـادي، وبخاصّـة أن منطقتنا تتوفر بهـا ثروات هائلة، ولها تاريخ اقتصادي.

ولا أظـن أنه من المجـدي أن نبحث عن التبريـرات، التي هي جزء من هذه الثقافة التقاعسـية، مُقنعين أنفسَـنا أننـا غير مقصرين، وأننا نسعى، ونتخيّل أمامنا العوائق غير الواقعية.

هـذه التبريـرات جزء من الثقافـة الخاطئة التقاعسـية التي تُثبِّط الهِمم، فمهما كانت العوائِق، فالإنسـان الناشـط وصاحب الإرادة، يتجاوز العوائق، وذلك بدليل ما نراه من أن أفرادًا منَّا اسـتطاعوا أن يُصبحوا أصحاب ثروة وإمكانات عالية.

**الدين الإسلامي يدعو إلى العلو**

يبـدو لبعضنـا أن الدنيـا ليسـت ذات أهمية، إنما الأهم كسـب رضا اللّه تعالى.

إن وجـود مثل هذه الثقافة تقلل أهمية الحركة والنشـاط، وهي في الواقع تخالف نصوص الدين وتعاليمه.

تعاليـم الديـن تشـجع الإنسـان المؤمـن أن يكـون أفضل من غيره، كما قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَـاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِـيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[سورة الأعراف، الآية: ٣٢].

المؤمنون لا ينبغي لهم أن يكونوا في حالة يرثى لها من التخلف العلمي والحضاري، إنما ينبغي لهم أن يكافِحوا حتى يكونوا في موقع أفضل حياتيًّا واقتصاديًّا، كما يقول اللّه تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٣٩].

## مراعاة المظهر والسلوك العام للمجتمع الإسلامي

لماذا الإنسان يقبل لِنفسه أن يكون منظره وهيأته ليست في المستوى اللائق والمتقدم؟

إن مما يؤسف عليه أن تصلنا الأخبار عن بعض أبنائنا عندما يتواجدون في مناطق أخرى ـ لعمل أو لدراسة ـ فغالبًا ما يظهرون وهم حاسرو الرؤوس، على العكس من أبناء المجتمعات الأخرى عندما يذهبون إلى الجامعات أو الأسواق، حيث يلتزمون بالزي الوطني، ويظهرون بمظهر جيد.

ينبغي لنا أن نهتم بمنظرنا، فهذه مسألة مهمة، إن اللّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[سورة الأعراف، الآية: ٣١]، وقال نبينا الأعظم ﷺ: «إن اللّه جميل يحبُ الجمال».

وكان هذا الحديث إجابة عن سؤال تقدم به أحد أصحابه ﷺ عن اللباس الجميل النظيف، فتقول الرواية عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر»، قال رجل: «يا رسول

اللّه، إنه ليعجبني أن يكون ثوبي جديدًا ورأسي دهينًا، وشراك نعلي جديدًا »، قال ﷺ: «ذاك جمال، واللّه جميل يحب الجمال»[١].

وعن الصادق عليه السلام قال: «إن اللّه يحب الجمال والتجمُّل، ويبغض البؤس والتباؤس، فإن اللّه إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثرها»، قيل: «كيف ذلك؟» قال: «ينظف ثوبه، ويطيب ريحه»[٢].

وعنه عليه السلام أنه نظر إلى رجل من أصحابه، عليه جبة خز ـ إلى أن قال ـ: ثم قال أبو عبد اللّه عليه السلام للرجل: «الْبَسْ وَتَجَمَّلْ، فإن اللّه ـ عز وجل ـ يحب الجمال ما كان من حلال»[٣].

البعض لا يرى القضيةَ بهذه الأهمية، ولكنها مهمة، حيث يبرّر البعض ذلك بأنها عادات وتقاليد اجتماعية، فأبناء هذا المجتمع من طبيعتهم هذا اللباس، وليس ذلك اللباس في تلك المناطق.

والبعض يعد هذه النقطة من باب تقييد الحرّيات وإطلاقها، لدرجة أن البعض يتساهل ولا يقيّد حريّته، حتى إنه يذهب إلى المسجدِ بملابس النوم ويُصلي بها، أو يذهب إلى المجالس العامة ولا يهتم بمنظرهِ وشكله.

---

(١) محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري. المستدرك على الصحيحين. ج١، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٧٨، حديث ٦٩.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة، ج ٥، الطبعة الأولى ١٩٩٣م (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث)، ص ٧، حديث٥٧٤٦.

(٣) مستدرك الوسائل. ج ٣، ص ٢٣٥، حديث٣٤٦٥.

الإنسان المؤمن ينبغي أن يعيشَ حياةً أفضل، فغير المسلمين ليسوا أولى منا بزينةِ الدُنيا والطيباتِ من الرزق فيها، فينبغي لنا أن نسعى، وأن يكون لدينا طموح، وأن نتعاون كمجتمع وأفراد وجماعات، فهذا إعزاز للدين والعقيدة التي ننتمي إليها.

وقد جاء توجيه النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بهذا الاتجاه، كما ورد في حديث عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «نِعْمَ العون على تقوى اللّه الغنى»[١].

وروي عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنه قال: «نعم العون الدنيا على الآخرة»[٢]، ويروى عنه عليه السلام: «نعم العون على الآخرة الدنيا»[٣]، وعنه عليه السلام في قول اللّه عز وجل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٠١]، قال: «رضوان اللّه والجنة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعايش، وحسن الخلق في الدنيا»[٤].

وقال عليه السلام: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه»[٥].

---

(١) الشيخ الصدوق. محمد بن بابويه القمي. من لا يحضره الفقيه، ج ٣، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، (بيروت: دار المرتضى)، ص ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الكافي. ج٥، ص٧٢، حديث٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه. ج ٣، ص ١٥٦.

(٥) من لا يحضره الفقيه. ج٣، ص١٥٦.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»(١).

وفي حديث آخر ينسب للإمام علي عليه السلام أنه قال: «خيرُ الدنيا والآخرة في خصلتين: الغِنى والتُقى، وشر الدنيا والآخرة في خصلتين: الفقر والفجور»(٢).

وورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: «أَصلِحوا دنياكُم، واعملوا لآخرتِكُم»(٣).

### فك الارتباط بين الغنى والتعلّق المذموم بالدنيا

وهنا نقف مع ما قد يحسبه البعض تناقضًا، فنحن ذكرنا أحاديث تحث على حب الحياة وطلب الغنى، وهناك بعض الروايات جاءت في ذم الدنيا والغنى كقوله صلى الله عليه وآله: «ازهد في الدنيا يحبك اللّه»(٤)، أو كقوله صلى الله عليه وآله: «شرّ أمتي الأغنياء»(٥)، وهذا ليس تناقضًا، فليس معنى هذه الأحاديث ترك الدنيا، إنما معناها عدم التكالب عليها والتعلّق

(١) المصدر نفسه.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ج٢٠، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، (بيروت: دار الجيل)، ص٣٠١، كلمة رقم٤٤٦.
(٣) محمد الريشهري. التنمية الاقتصادية في الكتاب والسنة، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ، (قم: دار الحديث)، ص٥٠، حديث١.
(٤) وسائل الشيعة. ج١٢، ص١٥، باب استحباب الزهد في الدنيا.
(٥) محمد مهدي النراقي. جامع السعادات. ج٢، الطبعة السابعة١٤٢٢هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص ٣٦، فصل (ذم المال).

بها على حساب القيم وأداء الواجبات الشرعية.

والطلب عندما يكون من الحلال ويصرف في الحلال والطاعة، فهذا مقتضى الجمع بين الدنيا والآخرة، وهذا ما نفهمه من قول الإمام الصادق عليه السلام: «لا خير في من لا يحب جمع المال من حلال، يكفّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه»[١]، وقوله عليه السلام: «من طلب الدنيا استغناءً عن الناس وتعطفًا على الجار، لقي اللّه ووجهه كالقمر ليلة البدر»[٢].

وهذه كلها أحاديث تدل على أن الثروة من المنظور الإسلامي خير معين على التقوى وبناء النفس، كما أنها ساترة للنقائص والعيوب.

### حاجة المجتمع إلى العلاقات والمعارف وأصحاب الجاه

هُناك تجارب كثيرة تُبين كيف أن أشخاصًا من مجتمعنا بجدهم ومثابرتهم أصبحوا أثرياء ولديهم قدرات هائلة، سواء كانت قدرات مالية أو وجاهية، وللأسف فإن البعض من الناس لا يعرف قيمة وجود ذوي الجاه، والمقصود هنا ذوي العلاقات الاجتماعية الواسعة والنافِذَة، والقادرة على التدخل في حلّ كثير من المشاكل والأزمات.

---

(١) بحار الأنوار. ج١٠٠، ص٧، حديث٣٠.

(٢) المصدر نفسه. ص٨، حديث٣١.

الحيـاة تحتـاج إلى مثل هذه الأمـور، وبخاصة فـي مجتمعاتنا وبلداننـا، حيـث لا تسـير الأمـور إلا بالمحسـوبيات والعلاقـات، فكلمـا كان للمجتمع علاقـات ومعارف وجاه تُصبـح أمور الناس أفضل في مختلف المجالات.

ومـن الخطأ ما يعتقده البعض من أنـه لِيصبح ذا علاقات وجاه ينبغـي أن يكون ثريًّا، فهـذا مفهوم غير صحيح، لأن المجال مفتوح للعلاقـات مـن خلال المعاشـرة الطيبة، وخلق علاقات حسـنة مع مختلـف الأطـراف، وهناك أشـخاص لـم ينطلقوا من موقـع ثروة ولا مـن موقِع إمكانات، لكنهم تعرفوا إلى الناس وكونوا صداقات معهم، فخَدموا غيرهم واندمجوا، وأصبحت لهم شـخصية ومكانة في المجتمع.

لكـن معظم أبناء مجتمعنا يميلون إلى الانغلاق على أنفسـهم، وصداقاتهم قد لا تتجاوز مناطق سـكنهم، ولا يهتمون ببناء جسور العلاقـة والانفتاح مع الآخرين، ليكونوا معروفين وأصحاب مكانة وجاه على المستوى الوطني.

## مجالات الإنفاق ونماذجه المشرقة

الإنسـان فـي هـذه الحياة يكـون تحـت تصرفه مال، قـلَّ ذلك المال أو كثُر، وهناك من يعطيه اللّه سـبحانه و تعالى سعة في المال والـرزق، لكن الموفقين من هؤلاء هُـم الذين ينفقون أموالهم على

خارج دائرتهم واهتماماتهم الشخصية، في المصلحة العامة، مصلحةِ المجتمع وخدمة الناس، بينما البعض الآخر من الأثرياء المتمكنين لا تكون لديهم هذه الحالة من روح البذل والعطاء، لأن من طبيعة الإنسان أن تكون نفسُه شحيحةً، ولذلك يقول اللّه تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[سورة الحشر، الآية: ٩ وسورة التغابن، الآية: ١٦]، وفي آية أخرى يقول اللّه: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾[سورة النساء، الآية: ١٢٨].

يُنقل عن الميرزا محمد حسن الشيرازي ﷺ أنه «أتى إليه شخص من التجار صاحب مال وأجرى معه حساب الخمس، وكان مبلغًا كبيرًا.

فقال التاجر للميرزا الشيرازي أنه سيأتي بالمبلغ لاحقًا، وعندما ذَهب إلى المنزل أخذ يُفكر كيف يدفع مبلغًا كهذا؟! حيث صعُبَ عليه أن يقرر، إلى أن أفرد المبلغ المطلوب، ووضَعه جانبًا في مكان معين.

وكان التاجر يأتي يوميًّا للصلاة خلف هذا المرجع، وفي كل مرة يراه يقول له: «إن المبلغ جاهز لآتي به، ولكن حصل لي كذا وكذا ..» ويبحث له عن أعذار.

وفي نهاية المطاف صارح السيد، وقال له ـ بما معناه ـ: «مولانا، أنا لا أستطيع أن آتي لك بالمال، فليست لدي القُدرة على

ذلك، فأطلب منك أن تبعثَ لي بأشـخاصٍ ممن تعرفهم وتثق بهم ليأخذوا المال، حتى ولو رفضت وقاومتهم».

اتفق بعدها الميرزا الشـيرازي مع جماعة ليأتوه بالمال، فذهبوا إلـى بيـت التاجـر ودخلوا المجلـس ليأخـذوا المال لأنـه أخبرهم بمكانه، وقد مانع في البدء، ولكنهم استطاعوا استنقاذه منه.

أتى التاجر بعدها إلى المرجع الشيرازي وشكره على تخليصه من عدم دفع حق الخمس.

وهذه المواقف تتكـرّر، ويتعرّض لها كثيرًا وكلاء المراجع في قبض حق الخمس، فعندما يأتي بعض الأشـخاص لإجراء حساب الخمس، فإذا رأى المبلغ كبيرًا قد لا يأتي مرة أخرى.

على الإنسـان أن يتنبّه للحقيقة التي تؤكّدها الآية الكريمة التي افتتحنـا بهـا الحديث، وهـي أن المال وهـذه الأرزاق إنمـا هي للّه سبحانه.

هـذا من جهة، ومن جهـة أخرى عليه أن يتنبّـه للحقيقة الثانية، وهـي أن الإنفاق في سـبيل اللّـه، إنما يرجع بالفائدة على الإنسـان نفسـه، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَـيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[سـورة سـبأ، الآية: ٣٩].

بمعنـى أن اللّه تعالى يعطيك بدلًا عـن المال الذي أنفقته، فهو خيرُ الرازقين.

ويقول في آية أخرى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٧]، وفي آية ثالثة: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ﴾[سورة البقرة، الآية: ١١٠، وسورة المزمل، الآية: ٢٠]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٧٢].

وفي الأحاديث تأكيد لهذه الحقيقة أيضًا، فقد ورد عنه ﷺ: «إن للّه في كل ليلة ملكًا ينادي: اللّهُم أعطِ كلَّ منفقٍ خلفًا وكلَّ ممسكٍ تلفًا»(١).

والإنسان ينبغي أن يكون لديه ثقة باللّه سبحانه، يقول رسول اللّه ﷺ: «من صدّق بالخلف جاد بالعطية»(٢)، ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ»(٣).

نحنُ نعد أنفسنا مجتمعات متدينة، مؤمنون بالإسلام ولدينا هذا القرآن وهذه النصوص الشرعية التي تدعونا وتحفزنا إلى الإنفاق، لكننا نرى أن المجتمعات الأخرى سبقتنا في هذا المجال.

### التبرعات في المجتمعات الأخرى

١. تقرير ٢٠٠٣ للتبرعات في الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) وسائل الشيعة. ج٧، ص٣٩١، حديث٩٦٦٣.
(٢) الكافي. ج٤، ص٢، حديث٤.
(٣) نهج البلاغة. حكمة ١٣٨.

يشير إلى أن الأمريكيين تبرعوا للجمعيات الخيرية بـ ٢٤٥ بليون دولار، ٣٥٪ منها للجمعيات الدينية، والباقي للمؤسسات الصحية، والتربوية، والثقافية[١].

٢. كما أن بعض الشخصيات الثرية في الولايات المتحدة الأمريكية تتبرع كل عام بمبالغ كبيرة، ومنهم على سبيل المثال: بل جيتس، صاحب شركة مايكروسوفت، أكبر شركة في العالم للصناعة المعلوماتية، الذي يتبرّع سنويًّا بالمليارات.

وورن بوفت تبرع بمعظم ثروته، حيث تبرع بـ ٣٧ مليار دولار، وأبقى لنفسه منها ٦ مليارات فقط.

لماذا تسبقنا هذه المجتمعات في الإنفاق والعطاء؟! ولا نجد إلا نماذج قليلة جدًّا في مجتمعنا من مثل هؤلاء؟!

إننا، والحال هذه، ندعو الجميع إلى الدفع بمجتمعاتنا إلى الأمام، وإلى التحلّي بروح العطاء والبذل من أجل الآخرين.

وهنا نجد أنفسنا ملزمين بالإشادة بتلك النماذج المشرقة في مجتمعاتنا وأوطاننا الذين ما بخلوا بأموالهم وثرواتهم من أجل خدمة مجتمعهم.

---

(١) مجلة الوسط. عدد ٦٤٩، الصادر بتاريخ ٥ يوليو ٢٠٠٤.

وهنا أذكر بعض الأمثلة من مجتمعنا:

١. ذكرت الصحف المحلية عن رجل الأعمال الشيخ (عبداللطيف الجبر): أنه وأسرته في الأحساء تبرعوا بإسكان شعبي يتكوّن من ٢٣٦ وحدة سكنية لمحدودي الدخل، للفقراء في الأحساء كلفتها ٦٠ مليون ريال.

٢. مركز كانو بالدمام لأمراض الكلى: كلّف ٢٠ مليون ريال.

٣. وكذلك مركز البابطين بالدمام لجراحة أمراض القلب: كلف ٧٥ مليون ريال.

هذه هي الأعمال الطيبة التي تعني مشاركة الإنسان وإسهامه في خدمة وطنه ومجتمعه.

ومن الأسماء اللامعة في البرّ والإحسان إلى مجتمعها: الفقيد الحاج عبداللّه المطرود ﵀ الذي قدم مساهمات كثيرة في بناء المساجد، وكذلك دعم الجمعيات الخيرية، بالإضافة إلى مساعدته للفقراء.

إن الحاج عبد اللّه المطرود ساهم ودعم بناء أكثر من ١٠٠ مسجد في مختلف المناطق، في: أمريكا والهند وباكستان ولبنان، وفي المنطقة هنا للسنة والشيعة، حيث شارك في بناء الكثير من مساجدها.

نحـن نعيش فـي بلد تبرز فيه مثل هذه الأسـماء اللامعة، ونريد أيضًا أن يكون من مجتمعنا أسماء لامعة أخرى، على صعيد الخدمة الوطنية والعطاء العام في البلاد.

وإلا فما قيمة الأموال، والثروات ؟!

**مجتمعنا بحاجة إلى العطاء والبذل**

قـدّم فـرع وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقـاف فـي المنطقة الشـرقية تقريـرًا عـن عـدد المسـاجد التـي بُنيـت خـلال السـنتين الماضيتين، فأشـار إلى أنه بني خلال هاتين السـنتين في الدمام ٢٦ مسجدًا جديدًا، وفي الخبر ٢٩ مسجدًا، وفي بقيق ١٩ مسجدًا[١].

وعندمـا نوازن بين ما يبذل في بناء المسـاجد وبقية المشـاريع الخيرية في منطقتنا وبين بقية المناطق نجد الفارق كبيرًا.

وهذا لا يعني انعدام هذه المشاريع في المنطقة، ففي محافظتنا الآن يوجـد بعـض المسـاجد التـي تُبنى، لكننـا بحاجة إلـى تعاون أكثر وإلى عطـاءٍ أكثر؛ لأن الجمعيات الخيريـة والنوادي الرياضية والفقراء والمحتاجين يشـكون من نقص العطاء، فكلما أعطينا فإن اللّه تعالى يبارك لنا في أموالنا.

والأحاديـث التـي تحثنـا علـى العطـاء كثيـرة، يقـول رسـول

(١) جريدة اليوم. العدد ١٠٩٤٣، الصادر بتاريخ ١/ ٤/ ١٤٢٤هـ الموافق ١ يونيو ٢٠٠٣م.

اللّـه ﷻ: «داووا مرضاكـم بالصدقـة»[١]، وعن أبي الحسـن عليه السلام أنه قال: «استنزلوا الرزقَ بالصدقة»[٢]، وفي بعض الروايات: «يا معشر التجار، صونوا أموالكم بالصدقة»[٣].

وأخيرًا، علينا أن نُقبل على العطاء والإنفاق في خدمة مجتمعنا ووطننا، وبخاصة أننا نعيش هذهِ النعمة الكبيرة، وننتمي إلى مدرسة أَبي عبد اللّه الحسين عليه السلام، ونريد أن تكون آثار هذه المدرسة مُنعكسة على حياتنا.

(١) بحار الأنوار. ج٥٩، ص٢٦٤، حديث٢٧.
(٢) الكافي. ج٤، ص١٠، حديث٤.
(٣) وسائل الشيعة. ج١٧، ص٣٨٤، حديث٢٢٨٠٣.

# الإمام الحسين مدرسة الأخلاق

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

## الأخلاق قيمة عليا

### تعريف الأخلاق

تُعرّف الأخلاق بأنها الصورة النفسية للإنسان، أو الانعكاس للجانب المعنوي والنفسي عنده، فكما أن للإنسان جسمًا يمثل شكله وصورته المادية، من طول وقصر وملامح، فينظر الناس إلى شخصيته المادية من خلال ملامحه الجسمية، فإن هناك بُعْدًا آخر للإنسان، هي نفسه التي تعني الميول والتوجهات، وهذه تتجلى وتتجسد من خلال الأخلاق.

فالأخلاق هي صورة النفس الإنسانية.

ويشرح الأخلاقيون ذلك أكثر، فيقولون: إن الناس تتعرف شكل الإنسان من خلال جسمه، فيرون التفاوت في الأشكال من حيث الطول والقصر، والنحافة والامتلاء، وكذلك من حيث الجمال وعدمه، وعندما يريد الإنسان الاطلاع على الصورة النفسية لأخيه الإنسان، يتعرّف ذلك من خلال الأخلاق، التي تكشف صورة النفس، إذ النفس هي الجانب الآخر من الشخصية الإنسانية، ولا يتبين جمالها وقبحها إلا من خلال الأخلاق، فالناس يتعرفون صفات النفس من خلال التعامل الأخلاقي.

وكما أن الأجسام فيها جمال، وقبح، وملامح جيدة، وغير جيدة، كذلك نفس الإنسان فيها الحسن، وفيها القبيح. فيها نقص، وفيها ضعف، وهذا أمر يتبينه ويراه الناس من خلال التعامل الأخلاقي مع بعضهم بعضًا.

ومما يؤسف عليه أن يحرص الفرد منّا على جمال شكله ومظهره أكثر من عنايته بجمال النفس وطيبها؛ لأنه يعرف أن جمال الشكل والمظهر، يجذب الأنظار والنفوس، لذلك يحرص أن يكون مظهره وشكله جميلًا، فنرى الكثير يتهافتون على جراحة وعمليات التجميل، وبخاصّة فيما بين النساء، لتحرص الفتاة على شكلها وجمالها متجاهلة الجوانب الأخرى.

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنه ليس مستنكرًا في الدين أن يحرص الإنسان على حسن مظهره، فهو أمر مطلوب ومرغَّب فيه؛

لأن «اللّه جميل يحب الجمال».

والسعي للجمال وحُسْن المظهر هدي قرآني، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[سورة الأعراف، الآية: ٣٢]، وحينما رأى نبينا محمد ﷺ أعرابيًّا يدخل عليه وشكله وشعره غير منسَّق، قال ﷺ ـ فيما روي عنه ـ: «أَمَا كان يجد ما يسكن به شعره؟»[١].

ولكن من المفترض أن تبقى العناية بالمظهر في حدودها الطبيعية المتعارفة.

وفي المقابل ينبغي للإنسان أن يحرص على جمال صورته النفسية، فهي الأهم، وهي التي تؤثر أكثر في نفوس الآخرين وقلوبهم.

وللوصول للجمال النفسي على الإنسان الاهتمام بالتهذيب الأخلاقي، فالأخلاق هي شكل النفس وهيئتها، ومن هنا جاء التأكيد والتركيز على الأخلاق.

### حُسْن الخُلُق يعزّز حضور الإنسان في قلوب الناس

قد تكون للإنسان نقاط قوة مختلفة، كل نقطة من نقاط القوة تجعل له موقعية ما، ومستوى من الاهتمام والتقدير في أوساط

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود، ج٢، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ـ دار الجنان)، ص٤٤٩، حديث٤٠٦٢.

الناس، فعندما يكون له نسب شريف، فإن هذا يجعل للإنسان موقعية، وقد يكون للإنسان موقع سلطة وقوة، فهذا يجعل له أهمية وتقديرًا من نوع خاص، وفي مثال ثالث قد يكون صاحب كفاءة علمية، في مجال العلوم الدينية أو العلوم الطبيعية، ما يجعل له أهمية ومكانة عند الناس. وعندما يكون صاحب ثروة وأموال ستكون له مكانة وأهمية. وأخيرًا مَن يكون له توجه عبادي، بحيث يعرفه الناس بالإقبال على العبادة وعلى التهجد، هذا تكون له قيمة في نفوس الناس، وهناك أمثلة كثيرة لمواقع ومناصب تكسب الإنسان منزلة بين الناس.

ولكننا إذا استقرأنا الروايات والأحاديث التي تتحدث عن الأخلاق، فإننا سنجدها تعطي للأخلاق مكانة عُلْيَا فوق هذه الكفاءات والملكات، وهذا ما نشعره بوجداننا وفي واقعنا الخارجي، فمهما كانت نقاط القوة عند الإنسان كثيرة، من: علم أو مال أو سلطة أو شرف ونسب أو ما أشبه ذلك، فإنه تبقى لأخلاقه الأثر الحاسم على مكانته عند الناس، فتتعزز إذا كان صاحب خلق جميل، وتكبر هذه المكانة مع كفاءته. أما إذا كانت أخلاقه سيئة فإن سوء الخلق عنده يضعف تأثير كفاءاته ونقاط قوته الأخرى، وفي هذه النقطة تروى رواية جميلة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول عليه السلام: «ربّ عزيز أذله خلقه، وذليل أعزه خلقه»[1]، حيث نفهم

(١) بحار الأنوار. ج٧٤، ص٤٢٠.

من كلمة (العزيز) و(الذليل) الواردتين في الرواية امتلاك القدرات وعدم امتلاكها، فيكون معنى الرواية: ربّ عزيز يمتلك نقاط قوة ـ من شرف ونسب، أو مال، أو مكانة علمية ـ أذله سوء خلقه.

والآية الكريمة التي افتتحنا بها حديثنا توضّح هذه النقطة بأجلى صورة، فهي تتحدث عن النبي ﷺ، وهو في أعلى مكانة أو منصب قد يناله إنسان في الدنيا، ومع ذلك تتحدّث بأن الإنسان حتى لو بلغ أعلى المراتب، وهي النبوة والاتصال بالوحي الإلهي، لن يكون عزيزًا ويترك تأثيره في النفوس، ما لم يكن على درجة عالية من سموّ ورفعة الأخلاق.

إن هذه الآية الكريمة تتحدث عن أفضل نبي وأفضل رسول، ومع ذلك تجعل الخلق حاكمًا على جميع الملكات والمراتب التي يحصل عليها الإنسان، من حيث تأثيرها في الناس، ومن حيث الموقعية التي تحفرها في وسط المجتمع.

إن اللّه تعالى يخاطب نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾، بمعنى: إنك ـ يا محمد ـ لو لم تكن لك أخلاق حسنة وكانت أخلاقك سيئة، لما نفعتك نبوتك في تعزيز موقعيتك بين الناس، ولما أفادتك في أن يقبلك الناس، ولانفضوا عنك.

إن أهم ما تريد الآية إيصاله أن الأخلاق لها حاكمية من

حيث تكوين وتشكيل مكانة الإنسان في المجتمع ومقبوليته بين الناس، حتى على درجة النبوة، فكيف ببقية الكفاءات والقدرات. فلو أن إنسانًا عنده ثروة ومال، ولكن أخلاقه سيئة، ترى هل يحبه الناس؟!، وكذلك لو كان يملك مستوى علميًّا متقدِّمًا، ولكنه لا يتعامل مع الناس بالأخلاق الحسنة، فإن الأثر الطبيعي الذي سيحصل أن الناس لا يحبونه، ولن ينجذبوا أو ينشدوا إليه، لذلك ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وهو يخاطب العلماء: «لا تكونوا علماء جبارين، فيذهب باطلكم بحقكم»[1]، ويبدو أن الخطاب ـ في الرواية ـ موجه إلى علماء الدين بألاَّ يتعاملوا مع الناس بفظاظة، حتى لا ينفروا منهم، فيذهب باطلهم (سوء التعامل الأخلاقي) بحقهم (التوجهات الدينية التي يبشرون بها)، وهذا أمر طبيعي، فإذا كانت النبوة مع سوء الخلق لا تؤثر في الناس كما هو مفاد الآية، (وهو مسألة افتراضية، وإلا فجميع الأنبياء معصومون لا يقومون بالأعمال المنافية للعصمة) فكيف بالعالم.

ورد في حديث عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن العبد ليبلغ عظيم درجات الآخرة بحسن خلقه وإنه لضعيف العبادة»[2]، فكثرة العبادة والتقرّب إلى اللّه من خلالها، بتلاوة القرآن وأداء النوافل وقراءة الأدعية والزيارات لا تقرّب الإنسان إلى اللّه إذا لم يصاحبها

(١) الكافي. ج١، ص٣٦.

(٢) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال. ج٣، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص٥.

حُسْـن الخُلُق، وهذا مفاد حديث آخر مروي عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «سوء الخلق ذنب لا يغفر»[١].

وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ـ عند حديثه عن الظلم ـ: «إِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ وَ ظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ وَ ظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللّه قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِهِ﴾ وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَـهُ عِنْـدَ بَعْـضِ الْهَنَاتِ وَ أَمَّا الظُّلْـمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْـمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا»[٢].

بعض الأخطاء التي يرتكبها الإنسان في عباداته وعلاقته مع اللّه يمكن أن يتجاوز عنها ويغفرها اللّه له، لكن ظلم الآخرين والإساءة لهـم ـ وهو المظهـر الأخلاقي ـ هذا ظلم لا يترك، ويحاسـب عليه الإنسـان يـوم القيامة، وقـد ورد أنه قيل لرسـول اللّـه ﷺ عن امرأة تصوم نهارها وتقوم ليلها ولكنها تؤذي بلسـانها جيرانها، فقال ﷺ: «لا خير فيها وهي من أهل النار»[٣].

من هنا جاء التأكيد على الأخلاق، حتى إن رسول اللّه ﷺ حينما يتحـدث عن الأخلاق، يعدّها الهدف الأعلـى من بعثته، فيقول ﷺ:

---

(١) المصدر نفسه. ج٣، ص٤٤٣.

(٢) نهج البلاغة. من خطبة له ﷺ وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

(٣) بحار الأنوار. ج٦٨، ص٣٩٤.

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١]، وورد في حديث عنه ﷺ: «الإسلامُ: حُسْنُ الخلق»[٢].

وروي عن النبيُّ ﷺ: «أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا»[٣].

## صور ومشاهد من الأخلاق الحسينية

نحن عادة ما نتحدث عن الحسين الثائر، والشهيد، والمظلوم، كما نتحدث عن جانب البطولة أو المأساة في شخصيته عليه السلام، ولكن ما يجدر بنا أيضًا أن نتحدث حوله هو عن المدرسة الأخلاقية للإمام الحسين عليه السلام، كيف كانت أخلاق الإمام الحسين، وكيف كان تعامله مع من حوله، وذلك حتى نطالب أنفسنا ونمتحنها في ولائها للإمام الحسين عليه السلام، إذ لا يكفي أن نبكي على مصيبته وننشدُّ لذكراه، بل إن ذلك مجرد وسيلة، والهدف هو الاقتداء به، والتأسي بشخصيته عليه السلام، وأن نسير باتجاه شخصيته المحلقة في أفق الكمال، حتى يصل كل واحد منا إلى المقدار الذي يدركه ويتمكنه.

ونحن نحاول في هذا البحث أن نلتقط ونقتبس بعض الأشعة وبعض المواقف من أخلاق أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام.

---

(١) المصدر نفسه. ج١٦، ص٢١٠.
(٢) كنز العمال. ج٣، ص١٧.
(٣) مستدرك الوسائل. ج١٧، ص٤١٥، حديث٢١٧٠٩.

### احترام الآخرين

وهذا من أهم تجليات الأخلاق الحسنة الفاضلة عند الإنسان، فالإنسان الذي له خلق حسن، هو الذي يحترم الآخرين، مهما كانت وضعيتهم الخارجية المادية، والإمام الحسين عليه السلام في هذا المجال يروي عن جده رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنه قال: «رأس العقل بعد الإيمان باللّه، التودد إلى الناس»[1]، وفي بعض النصوص: «التحبب إلى الناس»[2].

مفاد الرواية أن الإنسان إذا أراد أن يتعرف مستوى عقل أخيه الإنسان فإنه ينظر إلى اهتمامه بالتودد إلى الناس والتحبب إليهم، كما يهتم بموقف الناس منه بانشدادهم إليه أو انشداده إليهم، هذا هو رأس العقل، ومنطق العقلاء، وما يكسب به محبة الناس.

وقد نقلنا في مناسبات سابقة روايات عن أئمتنا أهل البيت عليهم السلام، تأمرنا كشيعة وموالين لهم، أن نحبّبهم إلى الناس، إذ ورد عنهم: «حبِّبونا إلى الناس»، و«رحم اللّه من حبَّب الناس إلى نفسه وإلينا» ـ كما يقول الإمام الصادق عليه السلام ـ.

وفي عصرنا هذا نرى أثر هذه النقطة بارزًا بشكل واضح، وذلك حينما رأى الناس مقاومة المؤمنين للصهاينة، تجلت أمام العالم

---

(١) الشيخ الصدوق ابن بابويه. عيون أخبار الرضا، ج١، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص٣٨.

(٢) بحار الأنوار. ج١، ص١٣١.

وأمام الناس مكانة مدرسة أهل البيت ﷺ، وهذا هو النشر الصحيح لمبادئ وقِيَم أهل البيت ﷺ، وهذه هي الدعوة الصحيحة، يروى عن الإمام الصادق ﷺ: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»[1].

بينما يقوم بعض الشيعة ـ مع الأسف ـ ببعض الأعمال التي تشوِّه سمعة المذهب والطائفة، وحينما يكون هناك توجيه للابتعاد عن مثل هذه الممارسات يخاطبونك بأنه لا يهمهم الطرف الآخر.

وهو منهج وأسلوب خطأ في التعامل مع الآخرين، فهاهم أئمتنا يأمروننا بتحبيب الناس إليهم، وهم بذلك يقصدون بقية المسلمين، ولا يقصدون الشيعة بطبيعة الحال

إن هذه الطريقة في التعامل بعصبية وعنتريات تضر أكثر مما تنفع.

سئل الإمام الحسين ﷺ مرّة عن معنى الأدب، فقال ﷺ: «ألاَّ تلقى أحدًا إلا وترى له الفضل عليك»، وهو المعنى نفسه الذي يرشد إليه الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﷺ في دعاء مكارم الأخلاق، حيث يقول فيه: «ولا ترفعني في الناس درجة، إلا حططتني عند نفسي مثلها»، بمعنى أن الإنسان في داخل نفسه عليه أن يهذّبها، فلا يشعر بالغرور والتعالي على الآخرين، بل لا يلتقي أحدًا إلا ويرى له الفضل عليه، كما هو مفاد كلام الإمام

(١) وسائل الشيعة. ج١، ص٧٦، حديث ١٧١.

الحسين عليه السلام.

### عدم الإساءة إلى الآخرين

الأخلاق الحسنة تعني ألا نسيء لأحد، بل من الأخلاق الحسنة أن يتحمل الإنسان إساءات الآخرين، فقد جاء رجل إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال له: «إن فيك كِبْرًا»، ـ وفي العادة لا يتحمّل أحد أن يأتي شخص ويواجهه بهذه العبارة، وبخاصة إذا كان في موقع وجاهة، أو زعامة، في مثل هذه الحالة غالبًا ما يفقد الإنسان السيطرة على انفعالاته وضبط أعصابه، لكن الإمام الحسين عليه السلام يستقبل هذا المسيء بابتسامة هادئة، ويقول له: «الكِبْرَ للّه وحده ولا يكون في غيره»[1]، يشير عليه السلام إلى الحديث القدسي المرويّ عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»[2].

إن الإمام الحسين عليه السلام لم تُثِرْهُ استفزازات هذا الرجل، فلم يغضب أو ينفعل، ولم يرد على إساءته.

إن التعامل الحَسَن مع المحسن لا فخر للإنسان فيه، فعندما تُلْقَى قصيدة في مدح أحد الأشخاص فيبدي له احترامه، هذا ليس من موارد الفخر والاعتزاز، ولكن ما يشعر بالفخر والاعتزاز أن يتحمّل الإنسان مواقف الإساءة، بحيث يضبط أعصابه وردّات فعله.

---

(١) بحار الأنوار. ج٤٤، ص١٩٨.

(٢) سنن أبي داود. ج٢، ص٤٥٦، حديث ٤٠٩٠.

الإمام الحسين عليه السلام كان يحترم البعيدين والقريبين، ولذلك كان يُنْقَل في سيرته، أنه على عهد جده رسول اللّه صلى الله عليه وآله هو وأخوه الإمام الحسن عليه السلام كانا يخاطبان جدهما رسول اللّه صلى الله عليه وآله بالأبوة، فيقولان ـ مثلًا ـ: «أبتاه يا رسول اللّه»، أو: «يا أبتاه»، ويخاطبان أباهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بكنيته بالآخر، فالإمام الحسين يخاطب أباه الإمام عليًّا عليه السلام: «يا أبا الحسن»، والحسن يقول: «يا أبا الحسين»، تمييزًا وتعظيمًا لجدهما رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وذلك إلى وفاة جدهما رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فصارا يخاطبان أباهما عليًّا بالأبوة.

وهذه نقطة مهمّة، وهي مراعاة حُسْن التعامل مع الآخرين، وليبدأ هذا الأدب الإسلامي من المنزل وأقرب الناس، وهم أفراد الأسرة.

ومن حُسْنِ تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أفراد أسرته أنه ورد في سيرته عليه السلام عن الإمام الباقر عليه السلام أنه ما تكلم بين يدي أخيه الحسن إعظامًا له، فإذا كان أخوه الإمام الحسن عليه السلام في مجلس لا يتكلم في محضره تعظيمًا وإجلالًا له عليه السلام.

وهذا أمر رأيته في بعض المجتمعات عند بعض القبائل، فمن العادات عندهم أنه كما يقبل الفرد منهم يد أبيه أو رأسه، يقبل رأس أخيه الأكبر منه، وفي بعض الحالات كنت أراه يقبل يد أخيه الأكبر، وهذا نوع من الاحترام والتعظيم.

إن أهل البيت عليهم السلام بهذه السيرة الأخلاقية التي تميزوا بها يمثلون القدوة لنا في التعامل فيما بيننا، وبخاصّة التعامل الأسري، وهي نقطة لا بدَّ أن نلتفت إليها جيدًا، فالأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع، وربما كثير من الظواهر السلبية يكون لها بيئة احتضنتها داخل الأسرة، ولذلك ينبغي التأمل في سيرة أهل البيت عليهم السلام وتعاملهم فيما بينهم كأسرة متحابّة متآلفة.

### احترام المعلّم

من مشاهد أخلاق الإمام الحسين مما ينقله لنا التاريخ من سيرته: موقفه مع معلم لولده علمه سورة الحمد، هو عبد الرحمن السلمي فلما قرأها الغلام أمام أبيه الحسين عليه السلام، أمر عليه السلام بألف دينار لذلك المعلم، وفي رواية حشى فاه درًّا، فقيل له في ذلك، قال: «وأين يقع هذا من عطائه ـ يعني تعليمه ـ»[1].

وهو تصرّف من الإمام يدل على تعظيم العلم، وتقدير المعلم.

وهنا لا بدَّ لي من همسة تربوية مهمّة، وهي أننا بحاجة في مجتمعنا للتفاعل بين الآباء والأُسَر وبين السلك التعليمي، بين البيت والمدرسة، لأن هناك بعض الآباء الذين لا يهتمون بالعلاقة مع المدرسة التي يتعلم فيها أبناؤهم وبناتهم، فلا يهمه التواصل،

(١) مستدرك الوسائل. ج٤، ص٢٤٧، حديث ٤٦١٣.

ولا يبدي أيَّ اهتمام بذلك، فغالبًا ما يكون الحضور لمجالس الآباء ضعيفًا.

بل يصل الأمر في ضعف التعاون بين البيت والمدرسة إلى حد أن البعض لا يرد على الهاتف إذا اتصلت به المدرسة، بمجرد أن يرى رقم هاتف المدرسة لا يرد ولا يتجاوب، ولعل ابنه يقضي مرحلة دراسية كاملة دون أن يكلف نفسه عناء ومهمة الوصول إلى المدرسة لتفقد وضعه.

التواصل مع المدرسة مهم، لتفقد وضع الأولاد في المدرسة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لإشعار الطالب باهتمام أسرته بدراسته، وثالثًا لإشعار المعلمين وإدارة المدرسة بأن هناك متابعة.

إن من أهم الأمور التي تشجع وتدفع باتجاه إزالة الثغرات وموارد النقص والخلل هو مسألة المتابعة بين البيت والمدرسة، والإمام الحسين عليه السلام بسيرته يريد أن يلفت أنظارنا إلى أن ننظر إلى المعلم نظرة احترام، وأن نقدر الدور الذي يقوم به المعلم تجاه أبنائنا.

### للآخر قراره وحريته

كان الإمام الحسين عليه السلام يقدر للآخرين حريتهم في الاختيار، حتى في المواقف الحساسة، ففي واقعة عاشوراء نجد أن

الحسين عليه السلام في مسيره إلى كربلاء كان يعطي للآخرين الحرية في اختيار الموقف الذي يريدونه ويرونه، فَخَيَّر أصحابه أكثر من مرة في اللحوق به أو التخلّي عنه، وفي أكثر من مرّة ردّد هذه العبارات: «ليس عليكم مني ذمام»[١]، «فانطلقوا، في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملًا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي»[٢].

وكان بعض الأشخاص يستأذنونه فيأذن لهم، والتاريخ ينقل لنا قصّة هرثمة بن أبي مسلم، فهو يتحدث عن نفسه، أنه شهد صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي الطريق في منصرفه من صفين أو ذهابه إلى صفين، حينما حاذى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أرض كربلاء، حدثهم عما يجري في كربلاء وقال: «واهًا لك أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب»، وتذكر هذا المشهد عندما كان مع قوم عمر بن سعد في كربلاء، فعزم على أن يترك عمر بن سعد، وجاء إلى أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام، وروى ما سمعه من أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان يعرف قيمة المكان وقيمة القضية، حينها سأله الإمام الحسين عليه السلام: «معنا أنت أم علينا؟»، ولكن هرثمة خانته الإرادة، فقال: «لا معك

(١) محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري، ج٤، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص٣١٧.

(٢) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني. الكامل في التاريخ، ج٢، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي)، ص٥٥٩.

ولا عليك، خلّفت صبية أخاف عليهم عبيد اللّه بن زياد»، وفي هذا الموقف لم يغضب الإمام الحسين عليه السلام ولم ينفعل، بل نصحه بما ينفعه، قال له: «فامض حيث لا ترى لنا مقتلًا ولا تسمع لنا صوتًا فوالذي نفس حسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا كبّه اللّه لوجهه في نار جهنم»[1].

فلننظر كيف أن الإمام يقدر للآخرين اختيارهم وحريتهم، وهذا هو سلوك الأنبياء عليهم السلام، فالأنبياء يبينون ويبلغون الرسالة، والناس ـ بعد ذلك ـ أحرار، فَـ ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾[سورة المائدة، الآية: ٩٩]، وهذا بخلاف ما نراه من البعض الذي يأخذه الانفعال والحماس حينما يعتقد بأن رأيه هو الحق، ولا يرى للطرف الآخر حقًا في التفكير والقرار، مع أن الدعوة تحتاج إلى عنصر الحوار الهادئ في إقناع وتفهّم وجهة نظر الطرف الآخر، لأن أيًّا كان لا سلطان له على تفكير ومعتقدات الآخرين، فها هو القرآن الكريم يصوّر لنا طبيعة الدعوة التي يمارسها الأنبياء، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[سورة الغاشية، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢].

ولقد كان أبو عبد اللّه الحسين عليه السلام يتعامل مع الناس من هذا المنطلق.

ولننظر إلى تعامله مع أصغر جندي معه في المعركة، هو عمر بن جنادة، الذي كان غلامًا في الحادية عشرة من عمره، عندما أقبل

(١) بحار الأنوار. ج٤٤، ص٢٥٦.

يطلب الرخصة من أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام لينزل إلى المعركة، التفت إليه الإمام الحسين، وقال: «هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك»، وإذا بالغلام يتقدم إلى الحسين عليه السلام ودموعه تسيل على خديه، والسيف الذي يحمله لعله أطول من قامته، يقول: «إن أمي أمرتني»»[١].

وغلام آخر تركي ما كان عنده أحد أيضًا معه في المعسكر، لما نظر إليه الإمام الحسين عليه السلام خَيَّرَه، وقال له: «أنت في حل اذهب، وانجُ بنفسك»، فقال: «سيدي يا أبا عبد اللّه، هذه لحظة السعادة ساعة الفوز كيف أفوتها على نفسي»، فخرج إلى المعركة، وقاتل إلى أن استشهد، ولم يكن له أقارب ومعارف، فقد كان غريبًا، فأقبل الإمام الحسين عليه السلام نحو ذلك الغلام، وميزه، وانحنى عليه ووضع خده على خده، وكان الغلام لا يزال به رمق من الحياة، فتح عينه ورأى الحسين واضعًا خده على خده، فابتسم وطارت نفسه فرحًا وسرورًا، وقال: «من مثلي وابن رسول اللّه واضع خده على خدي»[٢]، وفاضت روحه الشريفة.

وهكذا كان الإمام الحسين في تعامله مع جميع من حوله، يعامل الجميع بالرفق والعطف والرحمة.

---

(١) عبد الرزّاق المقرّم. مقتل الحسين، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، (قم: مكتبة آل علي عليه السلام)، ص٢٦٤.

(٢) أعيان الشيعة. ج٣، ص٣٠٣.

# المحتويات

**مقدمة ..... ٥**

**الإمام الحسين عليه السلام مدرسة العطاء ..... ٩**

من هدي الإمام الحسين عليه السلام ..... ٩

السعي للثروة والقدرة .....١٦

مجالات الإنفاق ونماذجه المشرقة .....٣١

**الإمام الحسين مدرسة الأخلاق ..... ٣٩**

الأخلاق قيمة عليا.....٣٩

صور ومشاهد من الأخلاق الحسينية .....٤٦

**المحتويات ..... ٥٦**